

## مدخل إلى التشريح النفسي

أهم الأجسام ثلاث إهكانيات جمالية هي  
القوة والرشاقة والاهتداء. ونفليح بعض  
الأجسام الخارقة في الجمع بينها.

*Antechrista, Amélie Nothomb*

الإدراك طغيان ملبد بالأحكام المسبقة، والجسد ديموقراطية من الأعضاء التي تتألم لاعتبارها كتلاً لحمية أو شحمية ليس لها وعي جماعي. لن أكف عن التردد بأن الجسد محراب النفس فلا تلق عليه بثقل أفكارك المشوشة. «سأصل بالتأكيد متأخراً إلى موعدي». تشعر بحكة في أنفك. «يلقي عليك المسؤول عن التوظيف باللائمة لأنك تأخرت عشر دقائق. تصالب ساقيك بطريقة منفرة. سيقع عليك الاختيار في رأيي فلديك المواصفات المطلوبة. يحبس كاحلك الأيمن نظيره الأيسر. ثمة عظم. محاورك كذاب».

من الآن فصاعداً يمتلك القراء الذين يفتشون عن وسيلة لفهم ما يحيط بهم أداة أخرى<sup>(1)</sup> جديدة بالثقة لكي يقارنوا الكلمات بالحركات التي يستخدمونها كإطار خادع، سواء كان الأمر متعلقاً بالآخرين أم بلغتهم الحركية الخاصة بهم. عندما تصنع وأنت في وضعية الجلوس ساقاً فوق أخرى، فأنت تعبر بهذه الحركة عن تحكّمك في علاقتك أو تعبر على العكس عن فقدانك لهذا التحكّم. فالساقان هما أداة التحكّم بالذات. تشير المرأة التي تثني ساقها اليسرى فوق ساقها اليمنى إلى أنها تضبط الموقف، فإذا عكست هذه الحركة فقدت هذا الضبط. أما بالنسبة للرجال - كما سوف ترى في الجزء المخصص للساقين (الفصل الرابع) - فينبغي عكس العلاقة: تشير الساق اليمنى فوق الساق اليسرى إلى التحكّم بالذات، بينما تشير الساق اليسرى فوق اليمنى إلى فقدان هذا

١- هذا الكتاب هو عاشر كتاب ينشر منذ عام ١٩٩٤، وهو على الأرجح ليس الأخير بسبب تزايد اهتمام القراء بطرق القراءة المرموزة

التحكم. في الحقيقة عندما يعتاد المرء على مصالبة ساقيه بصورة متناوبة فهذا يعني فقدانه للثقة بلا قيد أو شرط.

لماذا تحك دوماً أنفك عندما تفكر؟ الأنف هو الموضع التشريحي النفسي لحاسة الشم وهو أيضاً موضع المهارة. وإذا حككت المنخرين فهذا يعني أن حاسة الشم لديك تفتقر إلى القوة وأن مهارتك تنزلق. نعم، ولكن أي يد تستخدم في هذه العملية؟ هل تستخدم اليد المكانية أم اليد الزمانية؟ تشير اليد اليمنى إلى أن الزمن يداهمك، وتشير اليد اليسرى إلى تعرض مناخك العقلي لهجوم الأفكار المشوشة التي تشوش على انفعالاتك. باختصار، إن شبك الكاحلين هو ردة فعل حركية أساسية لا يتنبه أحد لها قط. على أنني أراهن من أنك سوف تتنبه لهما بعدما أن تقرأ الآتي: الكاحل هو موضع الحفز في العلاقات، فالآخرون يحفزونك أو لا يحفزونك. عندما يحبس كاحل رجلك اليسرى كاحل رجلك اليمنى بصورة عفوية فأنت في حالة مرونة بالنسبة لمحاورك، فهو يحفزك. أما إذا حبس كاحل رجلك اليمنى كاحل رجلك اليسرى على نحو مفاجئ انتقل مقياس مناخك العقلي من طقس صاِح إلى طقس غائم فأنت في حالة تصلب، فهو لا يحفزك. وعبثاً تحاول العودة إلى الوضع السابق فالكاحلان سيتصالبان من جديد بصورة لا إرادية في الوضعية التي يتحكم بها اللاشعور. ماذا يعني هذا؟ هذا يعني أنه أياً كان محاورك فهو يحاول أن يسيطر عليك، أو أنه يروي لك الترهات إذا كان كاحلاك في وضعية تصلب. لقد حان الوقت للتروّي بطرح الأسئلة عليه ومراقبته مراقبة متأنية.

ستكتشف أن كل جزء من أجزاء جسدك، وأن كل عضو مرثي أو لا مرثي من أعضائك، وأن كل منطقة جسدية تستجيب لخاصية نفسية أو فلسفية أو معرفية، وهذه الخصائص هي التي تشكل قوام شخصيتك. فشحة الأذن ترمز إلى درجة حساسيتك بالإثارة الجنسية (مهما كانت بارزة، اطمأن)، ويرمز الإبهامان إلى ثنائية اللذة والرغبة.

وبالمناسبة أقول إن من له أنفاً كبيراً لا يعني أن له عضواً كبيراً. وإذا كان لصدقتك فم صغير فهذا لا يعني أن لها بالضرورة عضواً صغيراً ضيقاً، عفواً إذا أصبت بخيبة الأمل. عندما كان الرئيس جيسكار دستان يتلمس شحمة أذنه، (كان يتصف بهذه العرة الحركية) لم يكن يحاول بذلك إضفاء طابع «إيروسى» على النقاش السياسي.

إذا كانت نسبة ٢٠٪ من اللزيمات الحركية ذات معنى<sup>(١)</sup>، فهذا لأن المواقع التشريحية التي تلعب دوراً فيها هي ذات معنى أيضاً. ولو كان الأمر خلاف ذلك لكانت لغة الجسد برمتها عبارة عن تكهن نافل وليست تقنية لقراءة مرموزة تفرض نفسها أكثر فأكثر في مجال علوم الإنسان.

يشتمل التشريح النفسي على مفردات الجسد، وتمثل أجزاء هذا الجسد في تلاحمها مع بعضها تركيباً للغة حركية جديدة. وعلينا أن نميز بين التشريح النفسي وعلم النفس المورفولوجي الذي يتناول على وجه الخصوص أشكال الجسد التي يفترض بها أن تكشف عن طبع الفرد. أما التشريح النفسي فهو يربط بين مناطق الجسد التي تلعب دوراً في تآزر الحركات وبين ترجمتها السلوكية. وهو يفترض أن كل عضو مرئي، وأن كل منطقة من الجسد (الأنف، الأذنان، اليدين، الأصابع) هو تمثيل رمزي لاستعداد ما، أو لعاطفة ما، أو لسلوك شامل ضمن التنظيم النفسي الفردي. وهذا ما يحقق تقدماً مهماً لفهم وترجمة لغة الجسد الحركية.

تفتح معرفة هذه الرمزية التشريحية النفسية الباب على مصراعيه أمام معرفة لغة الجسد. ولا تقف عند هذا الحد، فهي تتيح أيضاً ترجمة لغة الألم غير العادي أو لغة الحكايات التي هي مجموعة من الإشارات الصادرة عن المخ اللمبي (أو الانفعالي الذي يسميه علماء النفس أيضاً باللا شعور) إلى الشعور الواعي.

يشكل هذا الكتاب مقاربة أولية في التشريح النفسي. وأردت أن يكون الهدف الأول منه هو تقديم إجابات على الأسئلة التي تطرحها على نفسك، أو حملك على التفكير على الأقل. وضمنته أيضاً وصفات عديدة أو حلولاً مبتكرة وابتعدت عن الضغوط الإرهابية والاضطرابات السيئة والصراعات النفسية التي تستحق أن نبادر إلى التخلص منها. لقد ضمنته أفكاراً في غاية البساطة من شأنها أن تجنبك عذاباً لا جدوى منه.

أوصيك بقراءته تبعاً لاهتماماتك ورغباتك. استعمله كدليل لك، فهو مبني على أساس الحروف الهجائية (الفرنسية) داخل كل فصل من فصوله الخمسة.

١- ٨٠٪ منها ليست سوى تشبيرات مخصصة لتنظيف المناخ العقلي من الأفكار المشوشة التي استوطنت فيه بصورة دائمة

لقد رجعت بتألفي لهذا الكتاب معالجاً نفسياً من غير عيادة نفسية أو بالأحرى مع عيادة نفسية قائمة ضمن صفحات هذا الكتاب. وهذا ما يجعل منه الكتاب العلاج، وغايته هي تزويدك بالمعلومات وإثارة دهشتك وإسداء الخدمة لك. تستطيع أن تتصفح الشكل الذي يحلو لك وأنت ممسك بالخيط الذي يقودك عبر صفحاته.

جوزيف ميسنجر